

تمة مظهران أساسيان يدلان على حقيقة الشخصية البشرية : العلاقات الإنسانية والأعمال الإيجابية . الأولى تفصح عن موقف الإنسان الخلقى ، ومفهومه للفرد والمجتمع وعالم القيم الذي يشتمد وحيه منه - أهى ثابتة خالدة ذات قيمة ذاتية ، أم أنها وليدة الساعة والصدف تبدعها عندما تقتضى الحاجة ؛ والثانية - أي الأعمال - تعكس اتجاه الشخصية في الحياة وموقفها ، وجفافها أو حيويتها ، وجودها أو انطلاقتها ، وهو ما يبور حكماً على شخص من الأشخاص حين نقول مثلاً : هذا إنسان منتج وذلك شخص عقيم .

ولكن لنخرج من هذا التجريد والتعميم ، ولندخل مجتمعنا العربي الناشئ ، لنستدل من خلال مظاهره المتعددة ومختلف أقسامه على حقيقة الشخصية العربية وميزاتها الأساسية . ولندخل كل خلية من خلايا هذا المجتمع : البيت والعائلة حيث تولد شخصية الفرد وتترعرع مكتسبة اتجاهها الأساسي في الحياة . المدرسة والجامعة حيث يفترض أن تتسع آفاق الحياة والفكر وتتفتح الشخصية في حرية مطلقة وفرح ومسؤولية .

مُشكلة الشخصية العربية

بقلم الدكتور جورج طعمه

مركز العمل مهما كان نوعه حيث ينطلق الفرد الى العمل المنتج من خلال تعاون مفرح سعيد ، او يقعد به اليأس والتشاؤم والضجر الخلقى لانعدام التعاون . الاندية ومراكز اللهو البريء على اختلاف انواعها حيث يصرف المرء ساعات فراغه ويستجهم ويجدد نشاطه بما يقوي كفاحه في الحياة وایمانه بها ، تغذية صداقات بريئة مجردة تبتدئ الحق وتسعى اليه . لو استعرضنا جميع هذه المراكز الحية ، التي يتألف منها ومن سواها المجتمع العربي حيث تنقضي معظم سني حياتنا ، لما امكنا ان نجد علاقات انسانية مفرحة تغذي حياة الفرد وتوحي له بالعمل المبدع الخلاق . فالشخصية العربية تثير جميع مشاكل المجتمع العربي وتعكس هذه المشاكل حتى ليصعب القول أيهما السبب وأيها النتيجة .

نحن نعيش في مجتمع متحول غير مستقر ميزته الأساسية انه متجاذب بين اطراف متناقضة ، لم يعرف بعد حداً وسطاً بينها . فهو مجتمع متأرجح بين القديم والجديد وبين الهرم والطفولة . مجتمع يخرج من نظام قديم عاش مئات السنين وهو آخذ بالانهيار ، الى مجتمع جديد لم تتوفر فيه عناصر

الآداب

مجلة شهرية تعنى بـ"بؤون الفكر"
تصدر عن دار العلم للملايين - بيروت

اصحاب الامتياز

منير البعلبكي ؛ سهيل ادريس ؛ بهيج عثمان

AL-ĀDĀB : Revue mensuelle culturelle
Beyrouth - Liban. B.P. 1085

الدير المسؤول : بهيج عثمان
رئيس التحرير : الدكتور سهيل ادريس

هيئة التحرير

(حسب الاحرف الهجائية)

احمد سليمان الأحمد	قديري حافظ طوقان
علي أدهم	عبد الله عبد الدائم
ذو النون ايوب	مارون عبود
خليل تقي الدين	ابراهيم العريض
جورج حنا	عبدالله العلايلي
شاكر خصباك	توفيق يوسف عواد
رئيف خوري	نبيه امين فارس
عبد العزيز الدوري	شكري فيصل
قسطنطين زريق	نزار قباني
احمد زكي	صباح محي الدين
نقولا زيادة	انور المعداوي
وداد سكاكيني	نازك الملائكة
فؤاد الشايب	عبد الحميد يونس

انه حقيقة واقعة .

وربما كانت احدّ حالة مرضية تتميز بها الشخصية العربية وتخلق لها ازمة عنيفة اليوم هي عدم المقدرة على الصداقة . يقول دوستوفسكي على لسان احد ابطاله في روايته الخالدة « الاخوان كرامازوف » : « أتدري ما هو الجحيم ؟ انه عدم مقدرة المرء على ان يحب أو ان يجد اثرآ للمحبة في الآخرين . »

اكثر الناس فينا بل كلنا نردد الشكوى تباعاً من ازمة الخلق العربي . وأعتقد انه لو رجع أي شخص منا الى ذكرياته البعيدة لوجد ان هذه الشكوى رافقت نشأته . وهذه الشكوى لما تنقطع بعد . لاننا ما زلنا نعاني الكثير من آثارنا هذه الازمة المستفحلة وندفع لها ثمناً باهظاً في حياتنا العامة . وهي بين الطبقات المثقفة أو التي تدعي الثقافة أو بين ابناء الجيل العربي الجديد لا تقل حدة عنها في أية طبقة اجتماعية اخرى إن لم تكن في تزايد مستمر . وفي ابناء هذا الجيل صراع بين العقل والغرائز الاول يحاول ان يوجد نظاماً وانسجاماً بين الفرد والمجتمع . حين تقضي الغرائز على ذلك الانسجام بما تثيره من انانية مرضية ورغبة في الشهرة والسيطرة والنفع المادي على انقاض الآخرين دون ان نعرف حدآ لأهوائنا واطماعنا . ولا يمكن ان تتركز الشخصية إلا بعد ان يحل هذا النزاع الكيافي العميق على اساس من النقد الجريء لا يعرف مواربة أو خوفاً . يقول الزعيم المغربي علال الفاسي في كتابه « النقد الذاتي » ما يلي :

« ان الاجيال المظلمة التي مرت علينا نزعنا منا كل الحقوق التي حولنا الله اياها وحرمتنا من نعمة الفكر التي هي اساس الحياة السعيدة ، وهكذا فقدنا حاسة النقد والانكار وأصبحنا نستصعب وجودها عند انبعض منا . ان التقرّز الذي نحس به عندما يوجه الينا احد تقدماً ما ، أو الامتعاض الذي نشعر به عندما نقرأ افكاراً مباينة لأفكارنا - ان ذلك كله دليل على الاضطهاد العظيم الذي وجدته الحرية في بلادنا سواء من ذوي الأمر المنتسبين للدين أو من ذوي الثروة والجاه ، لأن الذين يألفون رؤية المناظر البشعة يعتادونها فلا تنكرها ابصارهم بل ربما طلبوها عند فقدها . فيجب ان نتحرر إذن من آثار الاضطهاد السابق في نفوسنا ، ومن آثار النفاق التي تسيطر علينا ، ونسمح لغيرنا بابداء آرائهم حرة طليقة ، حتى ولو كانت ضدنا . »

أما المشكلة الثانية فهي مشكلة الفراغ الفكري والعقائدي

التكامل والنضوج بعد . وهو مجتمع عرف عصوراً طويلة من الحكم والاستبداد - والطغيان الاجنبي الذي كاد يعفي على جوهر الامة ، ولكنه كمجتمع متحرر مستقل لم يتجاوز عمره السنين القليلة . وهو مجتمع تصفك فيه هذه الاضداد والمتناقضات : من غنى مفرط ترتع فيه الاقلية الى فقر مدقع تتخبط فيه الاكثوية . ولكنه ايضاً مجتمع غني بالموارد الطبيعية يملكها ويستثمرها ويستفيد من خيراتها إما الاقلية التي اشرت اليها او الشركات الاجنبية المستثمرة . وهو مجتمع يسعى الى الوحدة على اساس القومية وتقعده به بل تشله النزعات والعصبيات المتعددة وفي طبيعتها الطائفية والقبلية والاقطاعية والاقليمية . وهو مجتمع يسعى الى الاستقرار ولكنه لا يشعر بالطمأنينة بسبب الخطر الاستعماري السياسي الذي اصبحت إسرائيل رمزه القوي وسيفه المسلط .

ان مجتمعنا هذا شأنه ، ولا يمكن ان يكون بيئة صالحة تنمو فيها الشخصية نمواً صاعداً سليماً . بل هو على العكس يثير مشاكل كثيرة معقدة في الشخصية العربية اكتفي بالاشارة الى اثنتين منها : اولاً : المشكلة الاجتماعية ؛ وتتلخص في شعور الفرد العربي بانه لا ينتمي الى مجتمع سليم ، بل انه لا ينتمي الى مجتمع على الاطلاق . وهو شعور بمض عنيف يورث الشخصية نزعات مرضية وانحرافاً غريباً ، إذ ان حياة المرء الطبيعية وغو الشخصية وتكاملها إنما يتأتى بل يجب ان يتداخل البيئته البشرية . ومن هنا كانت الفردية القوية التي ينتهي اليها العربي ويعيش ضمنها بمعزل عن الآخرين وكأنه سجينها . وهي تنضح في عدم الثقة بالآخرين وسوء الظن والحيطه ، والشك الدائم في ان الشخص الآخر ينوي شراً أو يرمي اليه ، أو انه بيت امرأ لا تعرف حقيقته ولكنه يظن بانه كذا وكذا . ومن هنا ايضاً النقد الهدام المستمر ، والشهوة القوية في ان نجر كل شيء الى الاسفل ونهوي به الى الحضيض ، والامتعاض من نجاح . يدركه زميل أو صديق بفضل سعيه وجهده ، ويصل بنا ذلك احياناً الى درجة الحقد وكرهية أية مآثر إيجابية تم على ايدي غيرنا في حين ان الشخصية القوية السليمة لا تخاف من اكتشاف القوة والغنى في الآخرين بل تنعم به . وينتهي ذلك كله الى عزلة روحية قوية . يعيش فيها الفرد العربي ، وتتركز في حدود الذات الضيقة حتى ليظن انه مركز العالم : كل شيء ينتهي اليه وكل امر يصدر عنه أو له علاقة به . وليس هذا مجرد وهم بل

ما اكثرت الشعر في هذا
الجيل الشاعر . كانت اساطيره ،
والأساطير مراعي الشعراء ،
خميرة الحضارة الاولى فطلع

اطوار الزجل اللبناني

نظم مارون عبود

عاش في القرن الخامس عشر ،
وقال أزراله في مواضع
اكثرها دينية طائفية .
قال عنه الدويهي في تاريخه

عجبتها وأمسى خبزاً حياً على موائد الآلهة . ثم استحال في دنيا
الأحلام عشاء سرياً تلذذت الانسانية الاولى بطعامه المقدس .
احلام رافضة تراءت للبناني الأول فعبها بصور شتى :
صناعات ونقوش وحروف ، دمي وأرجوان وزجاج . أوضح
فكرته تارة بالنقش ، وطوراً بالغناء ، وأحياناً بالفتوحات الفنية
فكان خياله العجيب منبع اساطيره الغربية . ومثى لبنان
والزمان في منعرجات التطور فاستعرب وراح يتذوق آداب
لغته الجديدة مذ دارت الضاد على لسانه ، وأبى عليه طموحه ان
يقعد حسيراً ففرض فيها بسهم وطفق يقول الشعر فلم تنقده له
اللغة فكان الزجل .

ليس « الزجل » الذي نعجب به ونعتر لسماحه ابن امس ،
فهو غير صغير السن ولا حديث الميلاد ؛ كما قال الجاحظ حين
أرّخ الشعر العربي . فالزجل اللبناني عريق ، دونه تاريخنا منذ
خمسماية سنة . فهلهله وامرؤ قيسه اسقف استعرب وتمغرب . نظم
زجله أو شعره على عروض خاص استمد توقيعه من لغته الأولى
« السريانية » وخلف للاجيال هذا الوزن تراثاً أو اساساً لشعرنا
العامي الذي ارتقى الى ذروة الفن الأدبي .
المطران جبرائيل ابن القلاعي اللفحدي هو القوال الأول .

الشهير : ولد جبرائيل بن بطرس اللفحدي في قرية تدعى
لحفد من اعمال جبيل ، وهي قرية قديمة طيبة الهواء كثيرة
الدبورة والكنائس ظهر منها كثير من الرجال الفضلاء . وأما
جبرائيل فيكنى بابن القلاعي وابن غورية لأنه كان لوالديه بيت
مبني بين القلاع ، في مزرعة تدعى غورية من أرض لحفد ، ومنذ
صباه سلمه والداه إلى الحوري ابراهيم بن دريع ، وهو رجل
فاضل ، ليدرس عليه اصول اللغة السريانية والعربية ، فأخذ
جبرائيل يجتهد ويجد ، وكان رزين العقل مشغولاً بالقول
فنظم الزجلية . ثم خطب له والداه ابنة حسنة من ذوات قرباه
فاعتراه استرخاء في عينيه فكرهته الخطيبة ولأجل ذلك زهد
في العالم وهاجر إلى القدس الشريف وهناك انخرط في سلك
رهبان القدس ، وسافر معهم إلى رومية في سنة ١٤٧٠ ثم عاد
منها إلى بيت المقدس سنة ١٤٩٣ بعد ما تخرج فيها واقتبس
العلم ، وبعد جهاد ثلاث قرن سبج مطرانا سنة ١٥٠٧ .

فهذا الشاعر العامي قضى حياته في الغرب بعدما فجع بحبه
الأول ، وكان من هذا شعر كثير وتصانيف شتى ، يقول
الدبس في ملحق تاريخ سوريا : ونظم قصائد كثيرة وان

(١) تاريخ الدويهي ص ١٢٤

تتميز بها وعدم التحديد الواضح لمعالمها وبالتالي نقصان اليقين
والحرارة للبناء .

قد تبدو هذه المشاكل على ظاهرها بسيطة ولكن نتائجها
أبعد مما نتصور بكثير . ومن الصعب ان نتبين خطرها اذا لم
نتألم كفاية من واقعنا العربي ونرجع اليها مسؤولية الفواجع
التي ارهقته . انها لا تقرر مركز الفرد العربي في مجتمعه فحسب
بل وفي المجتمع الدولي وتعطيه صورة معينة اقرب الى الفقر
ومركزاً ضئيلاً . ومعالم هذه الصورة ان الفرد العربي مضطرب
مقلقل غير منتج ، وانه بحاجة الى تغيير يمتد الى الجذور والاعماق
ويخرجه من عالم العبودية المظلم الى عالم الانطلاق الفسيح .
ان مشكلة المجتمع العربي هي مشكلة الشخصية العربية
والفرد العربي .

جورج طعمه

فالشخصية لا يمكن ان تتجه ايجابياً وان تنتج وتبدع إلا بوحى
ايمان شامل عميق . وقد يكون هذا الايمان دينياً او عقلياً أو
علمياً أو قومياً . ومهما كانت طبيعته فلا بد من وجوده لتسيير
الشخصية واعطائها مبدأ الحركة الدافع . اما جذور هذه المشكلة
فهي فكرية فلسفية وتعود في الحياة العربية الى قصة الصراع بين
العقل والدين ، تلك المشكلة التي يجابهها المجتمع العربي منذ مئات
السنين وما زال بعيداً عن حلها . وإذا تم أي حل جزئي فقد
قام على انقاض العقل ، والحط من شأنه ، وإضعاف سلطة الفكر
وحقه في البحث الحر والاستقصاء الصريح . اننا لم ندرك بعد
ان العقل والدين لا يمكن ان ينفي الواحد الآخر . اما التأرجح
بين الاثنين على اساس الغموض والادعاء وتمويه الحقائق فقد
يؤدي بالنتيجة الى فقدان الاثنين معاً وبالتالي الى احماء الايمان .
وهو الامر الذي يهدد الشخصية العربية ويعطيها الميوعة التي